العرب
الإثنين 2020/03/09
السنة 42 العدد 11641

من المسؤول عمّا يجري على الحدود التركية اليونانية؟

علي قاسم
كاتب سوري
مقيم في تونس

تحذر أنقرة من أن ما يحدث على الحدود مع اليونان "مجرد بداية"، وتطلب من دول العالم أن تستعدَّ لمشاهدة ما سيحدث غدا، حيث "ما جرى حتى اليوم ليس شيئا بالمقارنة به".

هذا الكلام ليس صادرا عن مريض نفسي، أو عن مصنف من قبل المجتمع الدولي "مجرم حرب"، بل هو كلام مدروس تحدى فيه مسؤول تركي، هو وزير الداخلية سليمان صويلو، المجتمع الدولي.

143 ألف لاجئ، بينهم أطفال وشيوخ، ألقت بهم أنقرة على حدودها مع اليونان، مهددة على لسان وزيرها "أن الرقم سوف يرتفع بشكل كبير قريبا".

الأطراف المعنية مشغولة بتحديد الطرف المسؤول عن الكارثة، بينما آلاف الأشخاص، بينهم نساء وأطفال، مهددة حياتهم في العراء، يواجهون طقسا باردا، ينقصهم الماء والطعام، بعد أن صادر رجال الشرطة اليونانية أموالهم وهواتفهم المحمولة، وسجلت حوادث أطلقت فيها النار على اللاجئين لإبعادهم وإرغامهم على العودة من حيث أتوا، بينما تمنعهم السلطات التركية من العودة إلى إسطنبول.

بدأت المأساة يوم 27 فبراير الماضي، في اللحظة التي أعلنت فيها الإذاعة خبر الحدود المفتوحة، ليتدفق اللاجئون على أمل الدخول إلى دول الاتحاد الأوروبي "الغنية"، عبر اليونان، حيث تمكّن آلفان منهم من الدخول، لكن السلطات اليونانية كانت لهم بالمرصاد، ولجأت إلى مصادرة ما يحملونه من متاع شخصي، وأجبرتهم على العودة إلى الحدود التركية.

ولم تخلُ محاولات اجتياز الحدود من مآسي، إذ أعلن مقتل لاجئ وجرح آخرين، برصاص القوات اليونانية، التي أكدت وفاة طفل، بعد غرق قارب للاجئين قبالة سواحل جزيرة ليسبوس، واستعانت قوات الأمن اليونانية بقنابل الغاز المسيل للدموع، وبقوات مكافحة الشغب، لمنعهم من اختراق الحواجز الحدودية.

وبينما يشهد العالم ما قد يتطور ليصبح أسوأ حادثة في تاريخ اللجوء، يتوجه المتنمر، رجب طيب أردوغان، اليوم إلى بروكسل، بدعوة من الاتحاد الأوروبي، سيفهم منها الزعيم المتنمر، أن العالم خضع لابتزازه.

ماذا يريد أردوغان من هذه الدراما التي أنتجها وأخرجها وكتب السيناريو لها، واختار حدود بلاده مع الاتحاد الأوروبي مسرحا لها؟ إن كان البعض يعتقد أن كل ما يريده أردوغان هو رفع قيمة المساعدات، التي يتلقاها من الاتحاد الأوروبي لاستضافة اللاجئين، فهو خاطئ حتما.

ما يريده أردوغان، من وراء المأساة التي بدأها، مجرد تمويه، يبعد من خلاله النظر إلى مغامرته في سوريا، وفي ليبيا، ويكسب مباركة الاتحاد الأوروبي، وفي أسوأ الحالات يكسب صمته وتجاهله.

حتى هذه اللحظة، تبدو لعبة الابتزاز التي بدأها أردوغان ناجحة، وبدلا من أن تتصرف دول الاتحاد الأوروبي وفق المعايير الإنسانية، التي طالما تباهت بها، خضعت لابتزاز السلطان العثماني الجديد.

وزير الداخلية الألماني، هورست زيهوفر، أعلن بوضوح، وفي تدوينة باللغة العربية، أن "حدود أوروبا ليست مفتوحة أمام اللاجئين من تركيا".

الموقف ذاته صدر عن فريدريش ميرتس، من حزب أنجيلا ميركل الذي قال "يجب إرسال إشارة واضحة للاجئين في تركيا أنه ليست هناك جدوى من القدوم إلى ألمانيا.. لا يمكننا استقبالكم هنا".

ورغم تعبير سفراء الاتحاد عن غضبهم من "ابتزاز تركيا" الذي جاء على لسان واحد منهم بقوله "تنام مع الشيطان، وتصحو في الجحيم.. هذا هو حالنا الآن"، اقترح السفراء الأوروبيون ضخ المزيد من المال لتركيا، من أجل تجنب حصول أزمة لجوء كما وقع عام 2015.

اختارت دول الاتحاد اتخاذ موقف حازم من اللاجئين، وتوجه مسؤولون كبار منهم إلى تركيا واليونان، ومن ضمنهم رئيسة المفوضية الأوروبية، أرسولا فون دير لايين، التي أكدت أن "الوكالة الأوروبية لمراقبة الحدود، فرونتكس، مستعدة لمساعدة أثينا على نشر قوات على الحدود".

النفاق بلغ أوجه بكلام المستشارة الألمانية، أنجيلا ميركل، التي أكدت، رغم الانتقادات التي وجهتها لأردوغان، استمرار اتفاق الهجرة مع تركيا.

مكتفية بوصف ما يحدث على الحدود من مأساة بالقول إنه من "غير المقبول أن يعبر (أردوغان) عن استيائه على حساب اللاجئين".

لم يتوقف نفاق المستشارة الألمانية عند هذا الحد، بل أكدت أن تركيا "تضطلع بمهمة إضعاف المقاتلين الإسلاميين في سوريا"، وأنها "تحمّلت بشكل رئيسي أعباء الحرب السورية".

هل غاب عن السيدة المستشارة، أن العالم ومن ضمنه أوروبا يدفع ثمنا لتنمّر أردوغان في سوريا؟ كيف لم تشتم رائحة المؤامرة الأردوغانية، ولم تقرأها في كلام فخرالدين ألطون، رئيس وحدة الاتصالات بالرئاسة التركية، الذي قال إن تركيا قد وجهت مواردها لمواجهة موجة لاجئين محتملة من إدلب، بدلا من توظيف طاقتها في منع اللاجئين من الذهاب إلى أوروبا.

أليست تهديدات وزير الداخلية، سليمان صويلو، الذي قال إن "المزيد من اللاجئين سوف يتمكنون من التحرك صوب الحدود بفضل حالة الطقس"، واضحة بما يكفي؟

إن كانت خدعة الرئيس التركي السورية انطلت على ميركل، فهل تنطلي عليها خدعته في ليبيا، حيث وصل عدد المجندين إلى نحو 4750 مرتزقا، أرسل بهم أردوغان من سوريا إلى طرابلس لدعم الإخوان المسلمين هناك؟

وتتحدث تقارير عن وجود مزيد من المتطوعين، يجري تدريبهم في منطقة عفرين وفي شمال شرق سوريا، يجهزون ليلقى بهم في الساحة الليبية. وتقول نفس التقارير إن الراتب الشهري للمرتزق الواحد رُفع إلى مبلغ 2000 دولار، بينما هو 300 دولار للمرتزق داخل سوريا.

ويتم اختيار معظم المرتزقة من بين أفراد الجالية التركمانية في سوريا، الذين وعدتهم أنقرة بالحصول على الجنسية التركية بعد انتهاء القتال. من المسؤول عما يحدث من مآس؟

كل من اختار أن يلتزم الصمت متجاهلا تنمر أردوغان، مسؤول عن المأساة التي تحدث على الحدود التركية – اليونانية، خاصة هؤلاء الذين عرفوا الحقيقة واختاروا، عامدين، تجاهلها.

خريف أردوغان .. بعد «درع الربيع»

زهير قصيباتي
كاتب وصحافي لبناني

ما الذي سيجنيه السوريون في إدلب من "الممر الآمن" الذي تعهده الجيشان الروسي والتركي بعد قمة فلاديمير بوتين – رجب طيب أردوغان؟ "درع الربيع" تحولت إذلالا للرئيس التركي الذي أحبط الكرملين محاولة التفافه على بوتين، حين اقترح الأول قمة رباعية مع فرنسا وألمانيا، ثم أطلقت طهران بالون اختبار بعرض قمة تركية إيرانية سورية، مفتاحا للتطبيع بين دمشق وأنقرة من بوابة وقف النار في إدلب، بشروط النظام السوري.

صحيح أن بوتين منح أردوغان فرصة لحفظ ماء الوجه، بدعوته إلى موسكو بعد تلكؤ وتردد متعمدين لإبلاغه أنه ليس وحده من يقرر ضرورات عقد قمة وموعدها، والصحيح كذلك قبل أن يتجدد خلاف متوقع بين الروس والأتراك على خارطة "الممر الآمن"، أن الرئيس التركي رضخ لشروط الكرملين بعد ساعات من المفاوضات. فلا النظام السوري سيتراجع إلى خط التماس ما قبل إطلاق أردوغان "درع الربيع"، ولا إصرار الروس على الاستمرار في الحرب على "التنظيمات الإرهابية" يتزعزع، والأهم أن أنقرة اعترفت بعد القمة بوجود هذه التنظيمات في شمال سوريا. ما يعني عمليا، أن دعوة الرئيس التركي شريكه "اللدود" إلى الابتعاد عن طريقه في إدلب، باتت في خبر كان.

بلمحة سريعة عن فصول التكاذب، روسيا التي تحارب الإرهاب وتمدد عمر نظام متهم بحروب إبادة، تتقاسم معه اتهامات بارتكاب جرائم، ولا حاجة ربما للتذكير بتفاخر بوتين علنا بعد تدخله العسكري في سوريا بأنها ساحة مناسبة لاختبار أسلحة روسية جديدة. ولا حاجة للتذكير بالضربات الكيماوية التي أبادت مدنيين سوريين تحت ستار الحرب على الإرهاب. إنه حليف الكرملين الذي صمد بالغارات الروسية وبراميل البارود، وبميليشيات "الحرس الثوري" الإيراني و"حزب الله"، وبمرتزقة من باكستان وأفغانستان، حرصا على السيادة السورية.

الضلع الآخر في المثلث، إيران سعت إلى حماية المراقد الشيعية وانتهت إلى إنشاء ضاحية جنوبية أخرى تطوّق دمشق. لم تكذب طهران في حمايتها النظام السوري بمعارك "الممانعة".

أما حصة أردوغان من اقتسام التكاذب مع الروس والإيرانيين، فلا يمكن تجاهلها، وهو الذي يعلنُ أنه يلبي نداء من الشعب السوري للتدخل، فيما يلبي المعسكر الآخر طلب نظام الأسد، وكلهم حريص على السيادة السورية. ألم يكن ذا دلالة تطوع أردوغان عشية لقائه بوتين بتذكير الأخير بأن له على الأرض السورية، قاعدتي طرطوس وحميميم، وله ما يشاء، فلماذا يعترضه في إدلب؟

يغيب القرار العربي عن المذبحة الكبرى في سوريا. كل شيء مباح للروس والإيرانيين والأتراك، ومعهم الإسرائيليون الذين يتفهم الكرملين

> **حصة أردوغان من اقتسام التكاذب مع الروس والإيرانيين، لا يمكن تجاهلها، وهو الذي يعلنُ أنه يلبي نداء من الشعب السوري للتدخل، فيما يلبي المعسكر الآخر طلب نظام الأسد، وكلهم حريص على السيادة السورية**

حربهم على ميليشيات طهران وحلفائها. بين الجميع، وحده أردوغان يشكو من الجميع. وإن كان آخر معاركه الصغرى التنديد بجامعة الدول العربية لأنها رفضت لفظيا التدخلات الخارجية في سوريا. فبين مآثره وهو ينادي بحماية المدنيين في هذا البلد، أنه وجه ضربة كبرى إلى صدقية من يقاتلون النظام وبينهم الجيش السوري الحر، حين استخدم آلافا منهم للقتال في ليبيا، فالتصقت بهم صفة المرتزقة. بديهي أن كل الأسئلة تسقط حين يتبين أن أردوغان من حيث لا يدري، قدم خدمة بما فعل، للنظام في دمشق، وخدمة أخرى للروس، إذ خلصهم من عناء "استئصال" كثيرين في إدلب.

وإن كان التراشق بالاتهامات بين موسكو وأنقرة حول خرق اتفاق سوتشي، يقدم مثالا آخر عن فصول التكاذب في مأساة سوريا والاتجار بمعاناة شعبها يمينا وشمالا، لا تكتمل الحقائق إلا بتساؤل آخر عمن يكذب في "معركة اللاجئين" والمشردين: أردوغان أم كل دول الاتحاد الأوروبي؟ وإن لم يكن المال لإغاثة النازحين هو ما يعني الرئيس التركي في المواجهة مع الأوروبيين، هل يقنع نفسه بقدرة الاتحاد على الضغط لإرغام بوتين على إنهاء المذبحة وفرض حل سياسي في سوريا، أيا تكن رغبة الأسد؟

الجواب لا هذا ولا ذاك، ومشهد تبادل اللكمات في البرلمان التركي يرسم واقع الانقسام في تركيا على مشاريع التدخل في سوريا وليبيا وغيرهما. باختصار نزاعات موسمية مع الأوروبيين واستعداء للعرب وخلافات مع الروس الذين يديرون المذبحة وفصول التكاذب بشروطهم.

وأما الأميركيون الذين أخفوا الشماتة بأردوغان، المتشاطر حينا مع موسكو وحينا آخر مع واشنطن، وتعاطفوا معه بعد سقوط العشرات من العسكريين الأتراك قتلى في شمال سوريا، فلعلهم لم ينسوا بعد كم مرة هددهم الرئيس المشاكس بإغلاق قاعدة أنجرليك، قبل أن يتجاهل مطلبهم عدم شراء منظومة الصواريخ الروسية أس- 400.

في زمن المواجهة، استدار أردوغان ليطلب من الإدارة الأميركية تزويده صواريخ باتريوت! وكلما استدار سريعا يلهث وراء مزيد من التهور.

زمن آيات الله المُغمى عليه

فاروق يوسف
كاتب عراقي

تعيش إيران زمنا خاصا بها. هو زمن المآلي وآيات الله والمرجعيات الدينية والأضرحة والمراقد والحسينيات والمسيرات الجنائزية والحرس الثوري والميليشيات المسلحة التابعة له.

ذلك زمن يتحرك لكن إلى الخلف بعكس الزمن الذي تعيشه البشرية جمعاء، بغض النظر عن عقائدها وطرق تفكيرها وبرامجها الاقتصادية ونوع ومستوى علاقتها بالعلم الحديث.

فالبشرية صارت مضطرة إلى الإنصات إلى ما ينفعها ويُسبغ على حضورها نوعا من المعنى بعد أن ضيعت أزمنة عزيزة في الدفاع عن عقائد تجريدية، لم تكن ترى في الإنسان إلا وسيلة تستعمل لتحقيق غايات معينة، ومن ثم يُبتذل ويتم التخلص منه كما لو أنه نفاية.

وإذ يدير آيات الله المركب الإيراني إلى الوراء فإنهم يخونون طموحات شعب، كان إلى أن فتح الخميني عليهم أبواب جحيمه يتوق إلى أن يكون جزءا من العالم الحر الذي تتمتع شعوبه بالقدرة على إدارة شؤونها في سياق منطق عقلي لا مكان فيه للخرافة.

لقد تم نسف ذلك الواقع لتحلّ الأدعية محل المعادلات الكيماوية، وتكون الحسينيات بديلا للمختبرات العلمية. وكان ذلك مؤشرا خطيرا للعودة إلى زمن الشاهنامة التي لطالما ردد الفرس أبياتا منها، وبالأخص تلك التي تمجد حضورهم في التاريخ وهو حضور لم يكن ذا تأثير ثقافي بدليل أنهم لم يتمكنوا من اختراع أبجدية خاصة بهم فاعتمدوا الأبجدية العربية. ليس ذلك موضوعنا.

إيران التي تكتمت على انتشار فايروس كورونا كانت تأمل أن تكون المعصومة، وهي أخت الإمام الرضا المدفونة في قم، شفيعتها. ولكن هل تصلح المعصومة شفيعة لسكان ووهان الصينية وهم بشر حالهم حال سكان قم الإيرانية؟

واقعيا فإن الصين كانت تكافح الفايروس في حين ظلت إيران نائمة على مخدة خرافتها. ما جرى في إيران في مواجهة فايروس كورونا هو في كل الأحوال فضيحة. لقد ظهر كل شيء على حقيقته. النظام الصحي منهار تماما، كما أن المستشفيات غير مستعدة لاستقبال مرضى من ذلك النوع، ناهيك عن أن فكرة الاعتراف بوجود المرض كانت ممنوعة بل ومحرمة دينيا. لقد كان على المرضى أن يستسلموا للدعاء كما نصحهم الولي الفقيه. لذلك فضل الكثيرون عدم الإفصاح عن إصابتهم بكورونا وواجهوا الموت تحت شعار "قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا".

> **لا تزال إيران، وستظل، أسيرة زمن الخرافة، وهي لن تغادر ذلك الزمن خشية انهيار نظامها القائم على تسلسل عقائدي وهمي، يسمح لرجال الدين بأن يكونوا ورثة العلم الإلهي على الأرض**

ولأن إيران الولي الفقيه قد لفقت زمنها، فإنها تستعمل كل شيء في الدفاع عن ذلك الزمن بما في ذلك الآيات القرآنية. وهو ما جعلها تشكل بؤرة غامضة للفايروس الذي صار شأنا عالميا لن يفيد في القضاء عليه سوى تضامن عالمي.

لقد أصرّت إيران الملالي على أن تضع نفسها خارج ذلك القوس إلى أن فتك الفايروس بكل محافظاتها حسب اعتراف رئيسها حسن روحاني، فصار لزاما عليها أن تعلن عن مشكلتها.

غير أن الإعلان عن المشكلة شيء، ووضعها في سياقها العملي الصحيح شيء آخر. فما لم تقم به إيران حتى هذه اللحظة على مستوى الحد من زيارة الأضرحة والمراقد لن تقوم به في أي وقت قادم.

السر في ذلك يكمن في أنها لا تزال، وستظل، أسيرة زمن الخرافة، وهي لن تغادر ذلك الزمن خشية انهيار نظامها القائم على تسلسل عقائدي وهمي، يسمح لرجال الدين بأن يكونوا ورثة العلم الإلهي على الأرض. في هذه النقطة ستقف إيران وحدها أمام عصف كورونا.

وليس في ذلك ما ينفعها. فالدول اليوم إذ تتعالى على خلافاتها من أجل مكافحة ذلك الفايروس قبل أن يتحول إلى وباء، فإنها تعبر عن تمسكها بالقيم الإنسانية الثابتة التي لا تمحوها الخلافات السياسية. أما إذا كان نظام الملالي في إيران يخشى أن يكون انفتاحه على تلك القيم فاتحة لانهياره وانقضاء زمنه، فإنه بذلك يحول إيران إلى مقبرة كبيرة.